

## التحرير والتنوير

وقوله : ( إن ربك حكيم عليم ) تذييل والخطاب للنبي A فإن كان قوله : ( خالدين فيها إلا ما شاء الله ) من بقية المقول لأولياء الجن في الحشر كان قوله : ( إن ربك حكيم عليم ) جملة معترضة بين الجمل المقولة لبيان أن ما رتبه الله على الشرك من الخلود رتبه بحكمته وعلمه وإن كان قوله : ( خالدين ) الخ كلوا مستقلا معترضا كان قله : ( إن ربك حكيم عليم ) تذيلا للاعتراض وتأكيذا للمقصود من المشيئة من جعل استحقاق الخلود في العذاب منوطا بالموافاة على الشرك . وجعل النجاة من ذلك منوطة بالإيمان .  
والحكيم : هو الذي يضع الأشياء في مناسباتها والأسباب لمسبباتها . والعليم : الذي يعلم ما انطوى عليه جميع خلقه من الأحوال المستحقة للثواب والعقاب .  
( وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون [ 129 ] ) هو من تمام الاعتراض أو من تمام التذييل على ما تقدم من الاحتمالين . الواو للحال : اعتراضية كما تقدم أو للعطف على قوله : ( إن ربك حكيم عليم ) .

والإشارة إلى التولية المأخوذة من : ( نولي ) وجاء اسم الإشارة بالتذكير لأن تأنيث التولية لفظي لا حقيقي فيجوز في إشارته ما جاز في فعله الراجع للظاهر والمعنى : وكما ولينا ما بين هؤلاء المشركين وبين أوليائهم نولي بين الظالمين كلهم بعضهم مع بعض .  
والتولية يجيء من الولاء ومن الولاية لأن كليهما يقال في فعله المتعدي : ولي بمعنى جعل وليا فهو من باب أعطى يتعدى إلى مفعولين كذا فسروه وظاهر كلامهم أنه يقال : وليت ضبة تمينا إذا حالفت بينهم وذلك أنه يقال : تولت ضبة تمينا بمعنى حالفتهم فإذا عدي الفعل بالتضعيف قيل : وليت ضبة تمينا . فهو من قبيل قوله : ( نوله ما تولى ) أي نلزمه ما ألزم نفسه فيكون معنى : ( نولي بعض الظالمين بعضا ) نجعل بعضهم أولياء بعض . ويكون ناظرا إلى قوله : ( وقال أولياؤهم من الإنس ) . وجعل الفريقين ظالمين لأن الذي يتولى قوما يصير منهم .

فإذا جعل الله فريقا أولياء للظالمين فقد جعلهم ظالمين بالأخارة قال تعالى : ( ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار ) وقال : ( بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين ) .

ويقال : ولي بمعنى جعل واليا فيتعدى إلى مفعولين من باب أعطى أيضا يقال : ولي عمر أبا عبدة الشام كما يقال : أولاه لأنه يقال ولي أبو عبدة الشام ولذلك قال المفسرون : يجز أن يكون معنى : ( نولي بعض الظالمين بعضا ) نجعل بعضهم ولاة على بعض أي نسلط بعضهم على

بعض والمعنى أنه جعل الجن وهم ظالمون مسلمين على المشركين والمشركون ظالمون فكل يظلم بمقدار سلطانه . والمراد : ب ( الظالمين ) في الآية المشركون كما هو مقتضى التشبيه في قوله : ( وكذلك ) .

وقد تشمل الآية بطريق الإشارة كل ظالم فتدل على أن ا سلط على الظالم من يظلمه وقد تأولها على ذلك عبد ا بن الزبير أيام دعوته بمكة فإنه لما بلغه أن عبد الملك بن مروان قتل عمرا بن سعيد الأشدق بعد أن خرج عمرو عليه سعد المنبر فقال : " ألا إن ابن الزرقاء يعني عبد الملك بن مروان لأن مروان كان يلقب بالأزرق وبالزرقاء لأنه أزرق العينين قد قتل لطيم الشيطان " ( وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون ) . ومن أجل ذلك قيل : إن لم يقلع الظالم عن ظلمه سلط عليه ظالم آخر . قال الفخر : إن أراد الرعية أن يتخلصوا من أمير ظالم فليتركوا الظلم . وقد قيل : .

" وما ظالم إلا سيلى بظالم وقوله : ( بما كانوا يكسبون ) الباء للسببية أي جزاء على استمرار شركهم .

والمقصود من الآية الاعتبار والموعظة والتحذير من الاغترار بولاية الظالمين وتوخي الأتباع صلاح المتبوعين وبيان سنة من سنين ا في العالمين .

( يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا شهدنا على أنفسنا وغرتهم الحياة الدنيا وشهدوا على أن أنفسهم أنهم كانوا

كافرين [ 130 ] ) E A